مراثي القفول

أيمن ابراهيم معروف

وآتيك...
لا السيفُ يُومضُ
لا الليلُ...
لا الموتُ...
لا الصَوتُ ينهضُ
لا البرتقالْ.

ولا ميسلونَ تجيءُ...
تُضيءُ على عطشي الوطنيّ
وتخدشُ روحي
ومن كسر الفألَ عنها
وتفقأُ عينَ المحالْ.

فقد فدحَ الجرحُ
منْ زمهرير حزيرانَ
حتى تمطّى عقيماً..
رجيماً..
يُطاعنُ موتين فوقَ جحيمَيْهما
في الزمان العُضال.

وآتيك...
أكتُ مرثيةً نازعتني حنيني
فهذي المباكي التي أشعلتني..
على كلّ موتٍ رمتني
.. تغيلُ دمي
كلّما الجرحُ... غالْ.

وتأسو عَلَيَّ...
لأتلو عليكِ قداديسَ حزني
فلا يفدحُ الدّمعُ قلبي
على عتبات الأنينِ
وأعبرَ جسرَ الهلاكِ
لكيْ يعبرَ الميّتونَ
فقد أقعدتنا المراراتُ
حتى طُعِمْنا قبيحَ المهاناتِ
يا وطناً...
كلما مالت الريّحُ جنبيهِ
... مالْ.

أُعرّي تفاصيلَكِ الآن: /
لا نحنُ نحنُ...
وليس الّذي بيننا.. بيننا..
غير ما خلّفتهُ فجاجةُ أرواحِنا
في السكوتِ الفظيعِ.. المريعِ..
على طرقِ مقفراتٍ من الحبِّ
ليس يدلُّ عليها سوى الانكسارِ
وعهرِ المسافة بينَ الّذي بيننا
منْ رجوم التحايا..
ومنْ طعنةٍ في القَفَا
للصّديق اللّدودِ
ومنْ شرفٍ ضيّعتْهُ الرّجالْ.

ومنْ جسدٍ ضاغَنَتْهُ القبائلُ

حتى ترامى هلوكاً بسيفِ بنيهِ
وهمْ يخرجون إليهِ.. عليهِ..
بأيدٍ ملطّخةٍ
وجلودٍ مزوّرةٍ
تْتقنُ الرقصَ فوق دمِ الميّتينَ نهاراً
وتلهو بأسمائهم في الليّالْ
ومنْ شرِّ ما يُضحكُ الآن
ـ هذي البليّةُ ـ
إذْ «كلّما دخلتْ أمةٌ
لعنتْ أختها...»
.... ما بها؟!!!
كلّما أقبلتْ..
أدبرتْ في الرمالْ.

قفا وابكياها!!!
بلادي، على رِسلكُمْ، أيُّها الخانعونَ،
ـ على رسلكُمْ ـ،
تقرضُ الشِّعْرَ...
والموتَ...
والأقرباءَ...
ولا رمحَ يبرقُ..
لا ظلّ يرمحُ..
لا خيلَ تُصهلُ..
غير الرزايا الثّقالْ

فكيفَ يكونُ حريقُ المراحلِ
يا وجهَ يافا
وهذا زمانٌ رديءٌ.. رديءٌ..
يخطّ المراثي على كلّ وجهٍ
.. يطلّ بعينين ذئبيتينِ
وأنيابِ وحشٍ
وملمسِ أفعى
وما زالَ...
زالْ...
يمدُّ يدين على الموتِ أقوى
.. يذرُّ رمادَ فظاعتهِ
كيفما اتّفقَ القبحُ والربحُ
أو كيفما اتّفقتْ شهوةُ الجالسينَ
على المسرحِ المبتلى بالهزالْ.

سلامٌ بلادي...
أتيتُك...
عينٌ على الرّيح
عينٌ على البرتقال
وليمونِ يافا
أرى وجهكِ المستباحَ
قداسةَ حزنٍ
تطلُّ على المشهدِ العربيِّ
ولا السيفُ يُومضُ..
لا اللّيلُ..
لا الرمحُ..
لا الخيلُ تصهلُ..
لا الصوتُ ينهضُ..
لا البرتقالْ.

سوريا